فى ايطاليا

الدولة المهزومة التى تخطب الدول المنتصرة ودها !

لعنت موسوليني يوماً ما

ولكنها اليوم تترحم عليه !

قررنا أن ننتقل من حدود فرنسا إلى حدود ايطاليا بواسطة سيارة أجرة لعل الله يوفقنا إلى أولاد الحلال من موظفي الجمارك في الدولتين فيسهلون لنا مهمة الانتقال من دولة إلى أخرى دون عناء السؤال عن النقد وعن الحقائب وما تحويه الحقائب !

وأوقعنا الحظ في موظف سخيف بالجمرك الفرنسي القائم في نهاية مدينة « مانتون » بساحل الريفييرا الفرنسية ، لم تؤثر فيه سيجارة (اللاكي ستريك) التي قدمها اليه زميل مستهتر كان يظن أنها كافية لاعفائنا من السؤال والتفتيش . ودقق الرجل في السؤال والاستجواب ثم أصر على أن نخرج له ما في جيوبنا ليتأكد من صحة أقوالنا . . . فلما اتضحت له صحتها أخذ في الاعتذار وبدأ يقول انه ينفذ الأوامر ، ولكني لم أقبل اعتذاره وأجبته بصراحة انني سأعرف كيف أعبر عن استيائي من هذه المعاملة !

وكان الحر شديداً ، وأطلق الفرنسيون سراحنا فلما أردنا الانتقال إلى حدود ايطاليا قالوا لنا ان السيارة لا تنتقل معكم لأنها لا تحمل التصريح !

قلت لهم :- ولكنها ستوصلنا إلى محطة « فنتميليو » الايطالية لنستقل منها قطار الساعة الخامسة إلى روما ، وستعود بعد ذلك فخذوا رقمها وترخيص سائقها وستعود اليكم بعد ساعة أو أقل . . !

قالوا : - كلا ! السيارة لا تنتقل !

وهكذا قدر لنا أن ننتقل من فرنسا إلى ايطاليا سيراً على الأقدام واحمال ينقل حقائبنا بين حدود الدولتين على عربة نقل صغيرة يجرها بيده !

ويظهر أن موظفى الجمرك الايطالى أحسوا بما لقينا من عناء فسهلوا لنا المهمة وخاصة بعد أن أفهمناهم اننا نريد اللحاق بقطار الساعة الخامسة من فنتميل . ومن الحدود حملتنا سيارة الأجرة (الاوتوبوس) إلى محطة فنتميل أولى المدن الكبيرة على الريفييرا الايطالية ...

« الفكة »

وكان أول عمل لنا بعد الوصول إلى فنتميل هو استبدال النقود الفرنسية والانجليزية بنقود ايطالية لكى نتمكن من شراء التذاكر إلى روما ...

واجتمع حولنا سماسرة السوق السوداء وأخيراً قال لى رجل توسمت فيه الطيبة والأمانة :

ـ خير الطرق أن تستبدل النقود من البنك إلى جانب المحطة !

فوافقته فى الحال واتجهت إلى المحطة ووجدت إلى جانبها حجرة كتب عليها بنكو ، أى « بنك » فقصدتها فى الحال وكان السماسرة قد تقدمونى إلى هناك . ووجدت عدة رجال لا يرتاح الناظر إلى وجوههم وقد جلسوا جميعاً حول مائدة خشبية بعضهم يكتب والبعض يعد الأوراق المالية . وكانوا قد عرفوا بقدومى واستعدوا له . فلما سألتهم عن سعر الليرة الواحدة قالوا لى انها تساوى نصف الفرنك الفرنسى ...

وكنت قد علمت فى ذلك الصباح وأنا فى « نيس » انها تساوى أكثر من هذا فلما ناقشتهم قالوا ان هذا هو السعر الرسمى وانهم لا يصرفون بأقل من هذا السعر وأطلعنى أحدهم على دفاتره . ولم يكن فى الوقت متسع للجدل إذ لم يبق غير خمس دقائق على موعد القطار فصرفت وأسرعت لشراء التذاكر ، وتركت من ورائى السماسرة بعد أن رأيتهم يتسلمون « العمولة » !

وهذا هو « البنك » الذى يتجر علنا فى السوق السوداء !

فى المحطة

ويظهر أن السماسرة قد وجدوا فى شخصى « الضعيف » صيدا سهلا فأسرع إلى أحدهم يدلنى على شباك التذاكر وأشار إلى الازدحام ثم قال لى ان فى وسعه أن يدلنى على شخص يمكنه أن يحضر لى التذاكر فى الحال حتى لا يفوتنى القطار .. فوافقت وأمرى لله . . ! وحدثت اتصالات سريعة ثم دخل أحدهم إلى الحجرة التى تصرف منها التذاكر للجمهور واتصل بأحد الموظفين .

وأسرعت أنا إلى الشباك لأدفع النقود فأحرجت بتصرفى هذا مركز السمسار ومركز الموظف المحترم الذى سيشاركه الاسلاب والمغانم ... وحاول السمسار أن يبعدنى عن الشباك وطلب منى أن أذهب إلى القطار وسيلحق بى هو ! ولكنى صممت على الدفع بنفسى وسألت الموظف كم يريد ..

واضطر الموظف أن يجيب ... فطلب ٩٦٠٠ ليرة . وكان كل ما معى ١٠ آلاف ليرة فقدمتها اليه . وكان يظن انه ليس معى ما يكفى لدفع هذا المبلغ فلما وجده أمامه أسقط فى يده وتبادل مع السمسار نظرات ذات معنى وكأنه يقول له : ـ لقد ضاعت علينا الفرصة !

ولكنه مع ذلك صمم على الانتقام ، أو على الأقل ، على بذل المحاولة الأخيرة ! فأمسك بورقة من أوراق الخمسة آلاف ليرة التى قدمتها اليه وقلبها ثم ردها إلى بدعوى أن طرفها ممزق من الجزء الأعلى !

وثرت فى وجهه وأخذت أصيح به : « بنكو ! بنكو ! » أى اننى أخذتها من البنك ، ولكنه ابتسم وكرر الرفض وكان صفير القطار قد علا وهو يتأهب للتحرك فجمعت أوراقى المالية من أمامه بسرعة وهددته بأنى سأشكوه إلى ناظر المحطة فضحك وركبت القطار مع الزملاء دون تذاكر وارتمينا على المقاعد نجفف العرق المنهمر من وجوهنا !

محجوز

ولم يمض علينا أكثر من ربع ساعة فى عربة الدرجة الأولى التى جلسنا بها حتى حضر الينا جندى وأفهمنى أن هـذه العربة محجوزة لأحد النواب وانه يجب أن نغادرها لأن النائب قد يصعد فى أى مكان فقلت له اننا سنغادرها إذا جاء حضرة النائب المحترم . . . فرفض ـ فى وقاحة ـ وقال انه من الخير أن ننقل حقائبنا فى الحال إلى مركبة أخرى والا فاننا سنجدها خارج القطار كله !

وقلنا ان الرجل ينفذ الأوامر وانه لا موضع لمؤاخذته فى ذلك ، فبدأنا عملية نقل الحقائب والقطار مستمر فى سيره . . . ولم نكد ننتهى منها ونستقر فى أماكن جديدة حتى وجدنا أشخاصا آخرين يحتلون الحجرة المحجوزة للنائب المحترم ويدخلونها مع حقائبهم على مرآى من الجندى النشيط وتحت اشرافه

ويظهر انهم كانوا « أبرع » منا فى فهم اللغة التى يجب التعـــامل بها مع جنود ايطاليا !

حجرة النوم

وكان من المقرر أن نبيت فى القطار لأننا لا نصل روما الا ظهر اليوم التالى ، فلما سألنا « الكومسارى » قال لنا ان الاماكن تحجز فى جنوه وانها لا تدخل فى اختصاصاته . .

وفى جنوه أقبل حارس عربة النوم فطلبنا منه الاماكن فابتسم ابتسامة ذات معنى . . وقال أن الأجرة « المقررة » هى ٤٢٠٠ ليرة . . وكان (الكومسارى) قد أخبرنا انها ٤٠٠ ليرة فقط !

وكنا قد عرفنا كيف يجب ان نتعامل فى هذه البلاد فقلنا لا بأس فأحجز لنا أماكن فابتسم من جديد وقال :

— لا يوجد حجز أماكن . . فالاماكن لدى . . ولكن أنا عندى أولاد . . . كذا . . وكذا . . وكذا !

وكان كلما قال « كذا » أشـــار بيده إلى قامة ولد من أولاده !

فضحكت وقلت له :

— نعم ! ان من الحق ان تكسب لكى تربى أولادك وتنفق عليهم . . . نحن نفهم هذا جيداً !

واطمأن الرجل فقال :

— ولا تنسى أيضاً ياسيدى ان الحياة الآن صعبة جداً وغالية جداً !

فوافقته وبدأت بعد ذلك المفاوضات العملية . . بدأت فى عربة النوم نفسها بعيداً عن أعين الرقباء . . . وكانت المشكلة الأولى مشكلة الدفع فالرجل يقترح علينا أن ندفع بالليرات ونحن نصر على الدفع بالاسترلينى !

وقبل الرجل فى النهاية أن ندفع بالجنيهات الانجليزية فجاءت مشكلة سعر النقد وكم يساوى الاسترلينى فقلت أنه يساوى ٢٠٠٠ ليرة واصر هو على أنه يساوى ١٥٠٠ فقط ..

وكانت مشكلة لا تقل تعقداً عن مشكلة الارصدة الاسترلينية التى واجهتها مصر ولكن المفاوضات انتهت اخيراً بنجاح و « تسلم » الرجل ستة جنيهات استرلينية ثمنا لثلاثة محال مستقلة فى عربة النوم فتحها لنا وأحضر لنا المـاء المعدنى المثلج — على حسابه الخاص ! — ثم تمنى لنا النوم الهنىء والأحلام السعيدة وانسحب شاكراً .

أما الجنيهات فقد دخلت كلها جيبه الخاص ، ولعله اشرك زملاءه فى جزء صغير منها . . . . بدليل انه لم يستخرج لنا ايصالات أو تذاكر ، وما تبيناه أثناء المفاوضات من الأساليب ، وما علمناه بعد ذلك فى محطة الوصول !

* * *

وبعد . . . ! فهذه هى ايطاليا الجديدة . . .

هـــذه هى ايطاليا التى خلفتها الحرب والتى لا تزال آثار الاحتلال قائمة بها رغم انها كانت من الدول التى أعلنت الحرب على ألمانيا واشتركت مع الحلفاء فى المرحلة الأخيرة منها . . .

والذين زاروا ايطاليا قبل عهد موسولينى يرون تشابهاً كبيراً بين حالتها اليوم وحالتها فى ذلك الوقت عند ما كان السائح يفضل أن يلزم باخرته إذا مر بالموانى الايطالية ، فلا يغادرها خوفاً مما قد يقع له من حوادث . . .

ولكن موسولينى كان قد خلق ايطاليا من جديد . . وجعلها من أولى بلاد السياحة فى أوربا . . .

* * *

قالت لى سيدة ايطالية وانا أسألها عن شعور الايطاليين اليوم نحو موسولينى . . . قالت لى همساً وهى تتلفت حولها :

ـــ ياسيدى ! ان ألد أعداء موسولينى يترحمون عليه اليوم ويتمنون عودته بعد ان لعنوه . . . فهم يعرفون اليوم انهم يعيشون دون حكومة . . . وانه ليس هناك شخص مسئول فى البلاد يمكن للمظلوم ان يشكو اليه ما يلحقه من ظلم . . . !

حرب بين روسيا وامريكا . . .

فى داخـــل ايطاليا

تحاول ايطاليا أن تتبع سياسة الحياد بازاء الشرق والغرب ، وقد سارت على سياسة الحياد فترة طويلة من الزمن فلم تشأ أن تغضب الدول الغربية وخاصة فى مدة الاحتلال إذ كانت تعتمد فى اقتصادياتها على هذه الدول وشهدت فى ظل الاحتلال نوعا من الرخاء لم تشهده الدول التى انتصرت فى الحرب ... فما بالك بدولة مهزومة ؟

ولكن إيطاليا مع ذلك كانت حريصة على إرضاء روسيا وخاصة بعد أن رأت كيف تحولت شبه جزيرة البلقان كلها تقريبا نحو الشيوعية .

ومع دقة سياسة الحياد التى اتبعتها ايطاليا فانها لم تتمكن من السير عليها طويلا وكان لابد لها أن تحدد موقفها بالضبط فإما أن تتجه كلية نحو الشرق أو نحو الغرب.. وذلك نتيجة محتمة لموقعها الجغرافى .

تنازع الأحزاب

ويبلغ عدد سكان ايطاليا فى الوقت الحاضر ٤٦ مليونا . . . وأهم الأحزاب هو الحزب الذى يرأسه السنيور دى جاسبيرى واسمه الحزب المسيحى الديمقراطى ، وهو الذى يهيمن على السلطات فى الوقت الحاضر ويدعو إلى سيطرة النزعة الدينية فى السياسة .

وقد سار حزب دى جاسبيرى على سياسة اشتراكية أساسها فرض ضرائب ثقيلة واتخاذ اجراءات شديدة لوقف التضخم النقدى فى ايطاليا ، ولكن أثقلت هذه السياسة كاهل الطبقة المتوسطة التى قوامها عشرة ملايين نسمة . وكانت هـذه الطبقة أكثر الطبقات تأثرا بالأحداث التى وقعت فى تشيكوسلوفاكيا عند ما استولى الشيوعيون فيها على السلطة ، كما تأثرت بالمعاونات الكبيرة التى قدمتها الولايات المتحدة ـ ولا تزال تقدمها ـ لايطاليا . . . وقد يكون لكل ذلك أثره فى ترجيح كفة أحزاب الوسط المعتدلة فى الانتخابات .

الشيوعيون

والشيوعيون فى ايطاليا لا يقل عددهم عن ١١ مليونا وهم يتهمون دى جاسبيرى بأنه ضالع فى ممالأة البريطانيين ليظفر برضائهم ، وهم يعملون بكل قواهم على ان تنتقل السلطة إلى أيدى «الكتلة الشعبية» وذلك للحيلولة دون انتقالها إلى أيدى الاحتكاريين والرأسماليين وغيرهم من النفعيين الذين تسببوا فى حربين عالميتين كبيرتين .

والتنافس بين أمريكا وروسيا على أشده فى ايطاليا ، وقد اعلنت روسيا عطفها على مطالب ايطاليا الخاصة بمستعمراتها السابقة كما انها لوحت باستعدادها للتنازل عن نصيبها فى الأسطول الايطالى ولرده لايطاليا فى حين أوضحت أمريكا موقفها باعلانها أن استيلاء الكتلة الشيوعية على السلطة فى ايطاليا سواء عن طريق الانتخاب أو بأية وسيلة أخرى سيكون معناه حرمان ايطاليا من المساعدة الأمريكية المقررة لها بموجب مشروع مارشال .

وكما سبق أن ذكرنا ـ ان الايطاليين جميعا وعلى رأسهم الطبقة الوسطى ـ يقدرون تمام التقدير أثر المساعدة الأمريكية فى انعاش ايطاليا . . . ولذلك فان نقطة الضعف عند الشيوعيين الايطاليين هى عجزهم عن التقدم بمشروع يمكن أن يحل محل مشروع مارشال فى تقديم المساعدة الاقتصادية للبلاد .

وكان من نتيجة هذا العجز انهم امتنعوا عن الاعتراض على مشروع مارشال بمثل الصراحة التى اعترض عليه بها الشيوعيون فى كل بلد آخر .

ويعتقد كثيرون أنه لو وجدت الشيوعية ثغرة تنفذ منها إلى ايطاليا فان ذلك سيكون فرصة مواتية لها لتمد نفوذها إلى فرنسا وغرب المانيا . . .

وهذا هو ما دعا الدول الغربية إلى تقديم ميناء تريستا إلى ايطاليا قبيل الانتخابات العامة فيها فان الدول الغربية تريد بجميع الوسائل أن تمنع الشيوعيين من الفوز فى تلك الانتخابات حتى لا تتاح لهم فرصة الاستيلاء على السلطة .

موقف البابا

والبابا على رأس الكنيسة يؤيد أحزاب اليمين لأنه يعلم جيداً أن الشيوعيين سينتقصون الكثير من سلطانه فى إيطاليا والعالم الكاثوليكى لو انتقل اليهم الحكم . وقد كانت الكنيسة أولا حريصة على استقلالها لاتجاهر بتأييد حزب من الأحزاب حتى لايقال أنها خرجت عن مهمتها الروحية وأخذت تشتغل بالسياسة وكانت تكتفى بتأييد حزب الديمقراطيين المسيحيين تأييداً أدبياً ولكنها ـ بعد الانقلاب التشيكوسلوفاكى ـ خرجت عن حيادها وبدأت حملة تأييد قوية لتأييد أحزاب اليمين فى كنائسها .

خطر الحرب الأهلية

والأسلحة فى إيطاليا منتشرة اليوم فى كل مكان وخاصة فى جنوا وميلانو وتورينو ويستطيع كل إيطالى أن يحصل على سلاح ، كما أنه يقال أن يوغوسلافيا تهرب الأسلحة إلى الشيوعيين فى إيطاليا ليكونوا على إستعداد . . .

ولذلك يخشى المراقبون للحالة فى شبه الجزيرة أن تنتهى حالة التوتر القائمة بين الأحزاب إلى اندلاع نار الحرب الأهلية إما بقصد إحداث الانقلاب الشيوعى وإما بقصد منع وقوعه ، وفى الحالين ستتعرض البلاد لأخطار وخسائر قد تفوق ما تعرضت له فى مدة الحرب وخاصة إذا تدخلت قوات خارجية لتأييد فريق من الفريقين المتنازعين . ولا شك أن الدول الأخرى لن تقف مكتوفة الأيدى بازاء حرب داخلية تنشب فى إيطاليا إذ أنها تخشى أن تكون عاقبة ذلك انتقال السلطة إلى الشيوعيين ، وهى تعرف أيضاً أنه لو تم ذلك فستصبح إيطاليا مركزاً هاماً من مراكز نقل الشيوعية إلى فرنسا وغرب ألمانيا ... وذلك بطبيعة موقعها الجغرافى وامتدادها فى البحر الأبيض المتوسط علاوة على ما زودتها به الطبيعة من مطارات وموانىء هامة . . .